الخاتمة

الحمـد الله الذي أكرمني بعونه على إنجـاز هذا البحث، ومنحني من الصبـر والدأب على جمع متفرقه، وتصنيفه ودراسـته، بعد أن كان أشـتاتاً وأشـلاء مبعثرة فـي المصـادر المختلفة، ولعل مـن المفيد فـي ختام هذه الدراسة إيجاز ما أسفرت عنه من ملامح، وما توصلت إليه من نتائج:

- أوضحت الدراسـة أن لخطط المدينة المنـورة في العصر المملوكي أثـراً في مظاهر الحيـاة الاجتماعية، في تلك الفترة، حيث أسـهمت تلـك الخطط فـي توفير الأمن والحمايـة، لأهالي المدينـة المنورة، وذلك بدعم سـلاطين المماليك، مثل تعزيزهم لسور المدينة، الذي قام بدورٍ رئيس في حماية المدينة أمنياً.
- وبإشـارة موجزة عـن معالم الحياة السياسـية، في المدينـة المنورة، في العصر المملوكـي، من خلال البحث، اتضح اضطراب الأحوال السياسـية؛ وذلك بسـبب الصراع المرير على السلطة، بين الأشراف في أغلب العصر المملوكي، ومما لا شـك فيه: أن الأمن والاستقرار السياسي يبرز أثره الكبير في الحياة الاجتماعية.
- وتضمنـت الدراسـة الحديـث عـن المؤثـرات العامـة، فـي الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، إذ اتضح من خلال البحث: أنَّ للمسجد

النبوي والمكانة الدينية للمدينة أثراً كبيراً في استقطاب فئات وأجناس جمّـة، مما حدا بالحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، أن تكون مميزة في عدة أمور، منها: التنوع السكاني، وكثرة الزوار والمجاورين، وكل تلك العوامـل تصب في صميم الحياة الاجتماعية، وتكوِّن معالمها، سواء في عادات وسلوكيات، أو في نماذج لصور التكافل الاجتماعي، حتى إن ذلك التأثير تعدّى حدود الحياة الاجتماعية، ليشـمل كذلك التأثير السياسي والأمني، وفي المجال العلمي والتوعوي نستشف أن للمسجد النبوي أثراً في الجوانب العامة كافةً في المدينة المنورة، في فترة البحث، كما أسهم الارتباط السياسي والإداري للمدينة المنورة مع الدولة المملوكية في التأثير في التركيبة السكانية في المدينة، كما يتبين أثره الواضح في أنشطة السكان وفي الوظائف الدينية والإدارية والحـرف المهنية، ولم يقتصر أمر ذلك التأثير فيما سـبق، بل شـمل التأثير في الحياة العامة من سـكن وأنواع اللباس والطعام والشراب، وفـي العادات الاجتماعية، والتقاليـد والأعياد، وبالعموم يتضح: أن الارتباط السياسـي والإداري بالسلطنة المملوكية، في مصر، كان لها مجمل الأثر في كافة الجوانب الاجتماعية كافةً في المدينة المنورة.

- بينت الدراسـة: أن العناصر القادمة إلى المدينـة المنورة، عن طريق المجاورة، أو حسـب ما تقتضيه الضرورة من أرباب الحرف والمهن كالبنائيـن وغيرهـم، ممـن وفـدوا على المدينـة المنـورة، من أجل الإسـهام في ترميم المسـجد النبوي، قد أسهموا بصورة واضحة في الحياة الاجتماعية، في تلك الفترة، فقد أصبح هناك تباين في المظهر

واللبـاس، وكذلـك اللهجـات والثقافـات، بالإضافة إلـى العادات والتقاليـد، ويـزداد مـن حدة ظهـور ذلك الامتـزاج عندمـا يحدث التزاوج بينهم وبين سـكان المدينة، فأصبحت بذلك المدينة المنورة عالمية الأجناس، واللغات، وحتى الثقافات.

- كان لوجـود العناصـر المختلفة أثراً جلياً فـي الاندماج الاجتماعي، والعلاقـات الاجتماعية، الذي فرضته تنوع التركيبة السـكانية، وقبل ذلك الركائز التي حوتها المدينة الشـريفة؛ كوجود المسجد النبوي، وكذلـك التكويـن المعماري للمدينة، حيث شـمل هـؤلاء الأغلبية سور أحاطهم مادياً، وبرز فيهم معنوياً.
- ويبرز أثر اللحمة بين سكان المدينة المنورة الذي قَلَّ أن نجد له نظيراً في إقليم جغرافي – سـوى مكـة المكرمة – في التصاهر بين أغلب تلك الفئات، وهذا بدوره أسهم في تكوين الحياة الاجتماعية، ذات الصفـة المتنوعة، في تلـك الفترة، ولم يكن أثـر تلك المصاهرات فقـط في هـذا الجانب، بل وصـل إلى مـدى أبلغ، عندمـا نرى أن المصاهرات قد أسهمت في تقريب المذاهب بينهم.
- كان لوجود المجاورين أثر إيجابي، قد ذكرت تفاصيله خلال فصول البحث، ولكن من المهم الإشـارة هنا إلى أن الأثر الإيجابي لم يكن هو الوحيد الذي تركة هؤلاء في المدينة المنورة وأهلها، بل كان هناك جانب سـلبي، قد انتشر في المدينة المنورة؛ كالبدع والخرافات، وما يعتقده بعض أهل التصوف من معتقدات باطلة أسهمت في نشر فكر غير سليم، شاع بين مجموعة من الأهالي في تلك الفترة.

- وكما هو الحال في أصحاب الوظائف العليا، والمهن الخدمية، في المجتمع فقد أسهموا بصورة جليّة في ارتقاء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وخلافه من الجوانب الحضارية، التي كونّت المجتمع المدني.
- أضافت المرأة المدنية سمتها ووضعت بصماتها في ذلك العصر، وبرزت في مختلف النواحي، ويكفي أنها على الصعيد السياسي، قد ارتقت وحكمت.
- يتضح من خلال دراسة الحياة الاقتصادية، أن المدينة الشريفة كانت ثرية بمقومات تؤهلها بالعيش المريح، من خلال ما توفرت لديها من أراضٍ خصبة، ومراعٍ طبيعية، أسهمت في الرخاء لسكانها، وإن كان ذلك الرخاء لم يكن دائم السمة، فإننا نجد أن السلطة المملوكية في مصر، قد أسهمت بصورة واضحة، في توفير المعيشة الكريمة لسكان المدينة الشريفة، وبالإجمال لم تكن الحياة الاقتصادية على وتيرة واحدة، في المستوى، بل كانت متذبذبة حسب الظروف المحيطة.
- وفي محاولة لتصور الحياة العامة في المدينة المنورة، في العصر المملوكي من حيث السكن وأنواع اللباس، وكذلك الطعام والشراب وأدوات الزينة، نقول: إن جميع تلك الأمور قد بدأت منذ الفترات السابقة للعصر المملوكي، بالإضافة إلى ما أنتجته الطبيعة السكانية، التي احتوتها المدينة الشريفة، فقد كانت كل تلك الأمور متنوعة بتنوع أجناس سكان المدينة الشريفة، وثرية بثراء أوضاعها الاقتصادية والأمنية.

- كانت العادات والتقاليد، والأعياد والاحتفالات، في المدينة الشريفة زاخرة بتعدد ثقافات سـكانها، وقد تحكمت عدة ظروف في تنوعها؛ منهـا الحالة الاقتصاديـة التي حينما تزدهر تـزداد تلك الاحتفالات، وإن كنـت أرى أنَّ الناحيـة البدعية التي شـهدتها المدينة المنورة في العصور السابقة وبالأخص العصر (الفاطمي) العبيدي قلت عنها في العصر المملوكي؛ وهذا ناجم عن السـيادة السنية، في أغلب فترات حكم المماليك على المدينة المنورة.
- أبرزت الدراسـة وحدة المجتمع المدني، وصلابته وتماسـكه، وقد برز ذلك حين سلطت الضوء على مؤسساته الاجتماعية، فهي مراكز إشـعاع يتبن من خلالها قوة المجتمع ومتانته اجتماعياً، وقد حظيت المدينة الشـريفة، بعدد من المؤسسـات الاجتماعيـة المتنوعة، التي أسهمت بتأثير في الحياة الاجتماعية بتفاصيلها كافةً.